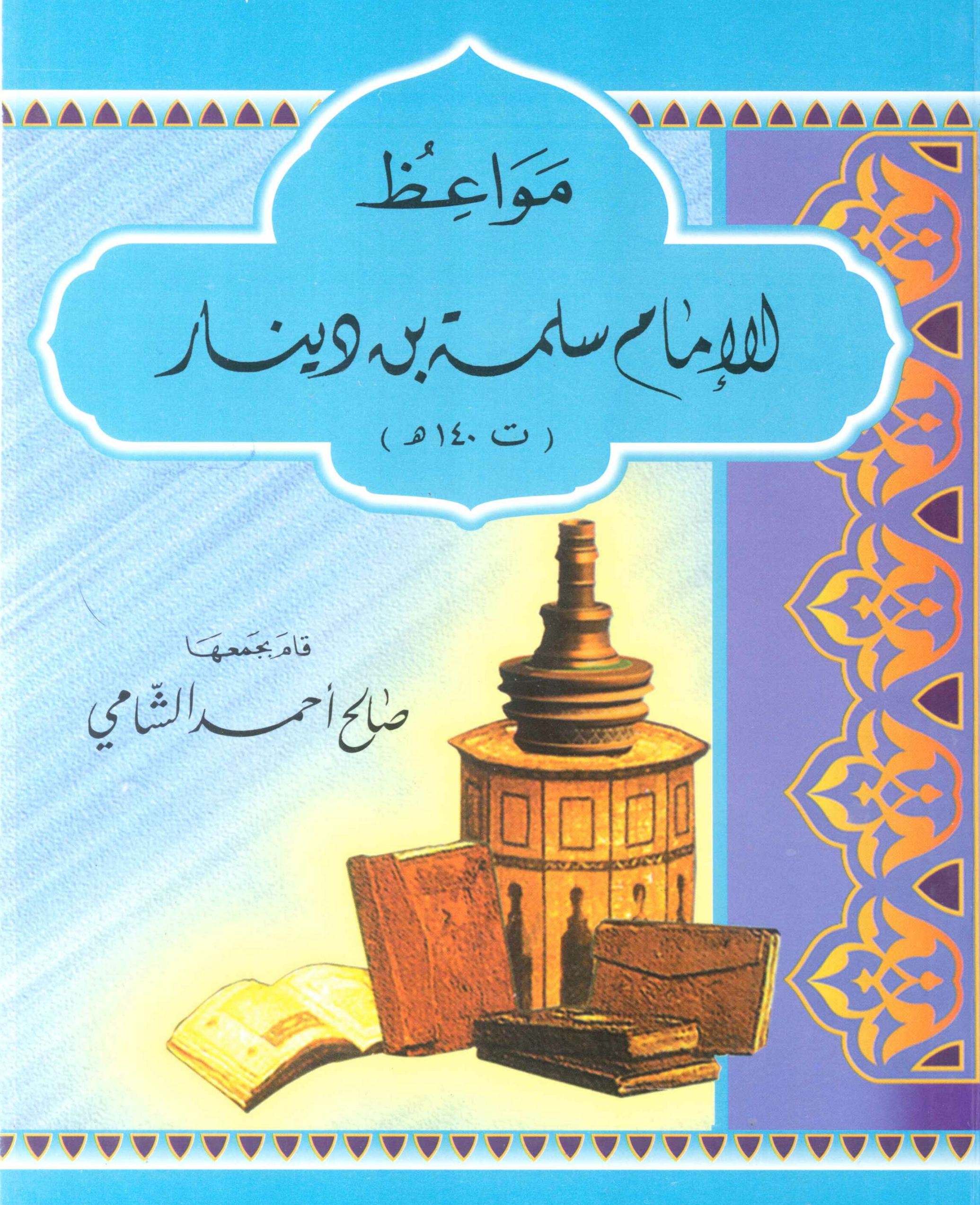


المكتب الاسلامي

معالم في التربية والدعوة

مواعظ
الإمام سلمة بن دينار
(ت ١٤٠ هـ)

قام بجمعها
صالح أحمد الشامي

المكتب الإسلامي

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

المكتب الإسلامي

بيروت : ص.ب : ١١/٣٧٧١ ـ هاتف : ٤٥٦٢٨٠ (٠٥)

دمشق : ص.ب : ١٣٠٧٩ ـ هاتف : ١١١٦٣٧

عمّان : ص.ب : ١٨٢٠٦٥ ـ هاتف : ٤٦٥٦٦٠٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين. وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

هذه هي الحلقة الخامسة من سلسلة «معالم في التربية والدعوة» تأخذ طريقها إلى يد القارئ الكريم.

وصاحب هذه الحلقة الإمام سلمة بن دينار «أبو حازم» عالم مدينة رسول الله ﷺ والواعظ فيها.

وهذه السلسلة لا تقصد إلى ترجمة هؤلاء المربين، بمقدار ما تقصد إلى الاستفادة من نظراتهم التربوية. والوقوف على الأدواء التي يعالجونها، وكيفية هذه المعالجة.

فالأمراض التي تنتاب المسلمين واحدة في أصولها، وإن تغير مع مرور الزمن مظهرها.

ولذا كان الرجوع إلى هؤلاء الأساتذة المربين والاستفادة من خبراتهم أمراً لازماً لمن يهمه أمر هذه الأمة، أو من أوكل الله إليه مهمة الدعوة إلى دينه وكرَّمه بهذه المهمة.

وقد حرصت على وضع عنوان لكل موعظة، يوضح الفكرة الرئيسة فيها. وذكرت مصدر كل موعظة[1].

جعل الله أعمالنا خالصة له إنه نعم المسؤول، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جمادى الأولى ١٤١٨هـ
أيلول ١٩٩٧م

صالح أحمد الشامي

(١) وما لم أذكر مرجعه فهو من كتاب حلية الأولياء للحافظ الأصفهاني ٣/٢٢٩ ـ ٢٥٩.

ترجمة أبي حازم

سلمة بن دينار، الإمام القدوة، الواعظ، شيخ المدينة النبوية، أبو حازم المديني المخزومي، مولاهم، الأعرج، القاص الزاهد.

ولد في أيام ابن الزبير وابن عمر.

سمع من الصحابي سهل بن سعد وروى عنه. وروى عن كثير من التابعين.

وثقه ابن معين، وأحمد، وأبو حاتم، وقال ابن خزيمة: ثقة لم يكن في زمانه مثله.

كان بعيداً عن الأمراء والحكام، ولا يأتي إليهم إلا إذا دعي، ولا يقبل عطاياهم.

كان مسكنه في المدينة قريباً من بيت الإمام الزهري، فكان جاراً له، ولكن الزهري ـ فيما يبدو ـ لم يكن يقيم له كبير وزن.

كان سفيان بن عيينة يسمع من أبي حازم، فذكر

للزهري بعض كلمات أبي حازم، فقال الزهري: كان أبو حازم جاري، وما ظننت أنه يحسن مثل هذا.

قال مصعب بن عبد الله الزبيري: أبو حازم أصله فارسي، وأمه رومية، وهو مولى بني ليث وكان أشقر، أفرز ـ أي أحدب ـ أحول.

قال ابن سعد: كان يقص بعد الفجر وبعد العصر في مسجد المدينة.

وقد اختلف في سنة وفاته.

قال ابن سعد: مات في خلافة أبي جعفر، بعد سنة أربعين ومئة. قال: وكان ثقة كثير الحديث.

وقال الترمذي: مات سنة ثلاث وثلاثين ومائة.

وقال خليفة: سنة خمس وثلاثين ومائة.

وقال يحيى بن معين: مات سنة أربع وأربعين ومائة.

قال الذهبي: وأحاديثه في الكتب الستة.

قال محمد بن مطرف:

دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت فقلنا: كيف تجدك؟

قال: أجدني بخير، راجياً لله، حسن الظن به، إنه والله ما يستوي من غدا أو راح يعمر عقد الآخرة لنفسه، فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت، حتى يقدم عليها، فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا أو راح في عقد الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة، لا حظ له فيها ولا نصيب.

وكانت مواعظه مؤثرة، تأخذ طريقها إلى القلوب.

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ما رأيت أحداً، الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم.

وقال ابن عون: ما رأيت أحداً يفرفر الدنيا ـ ينال منها ويبين خطرها ـ فرفرة هذا الأعرج، يعني أبا حازم.

وقد كان على درجة من الفطنة والذكاء، وحسن المحاورة، وذلك واضح كل الوضوح في لقائه سليمان بن عبد الملك[1].

---

(١) مراجع الترجمة: الحلية ٣/ ٢٢٩. وسير أعلام النبلاء ٦/ ٩٦.

محاور الوعظ عند أبي حازم

محاور الوعظ مشتركة عند الوعاظ جميعاً، فغايتهم جميعاً بيان الطريق السوي، وإيضاح مقاصد الشريعة، والتذكير بالآخرة، ومعالجة الأمراض الاجتماعية.

ولما كان لكل مجتمع أمراضه الخاصة به ـ إضافة إلى الأمراض المشتركة العامة ـ فقد كان لكل واعظ اهتماماته، وإيثار بعض الجوانب وتقديمها على غيرها بحسب سلم الأولويات، الذي يفرضه عليه المجتمع الذي يعظ فيه، يشارك في ذلك ثقافة العالم الواعظ ومدى خبرته بالأمراض الظاهرة والأمراض الباطنة.

وبعد دراسة ما تيسر الوقوف عليه من مواعظ أبي حازم، يمكنني تحديد محاور الوعظ عنده بالأمور التالية:

١ ـ الحديث عن الدنيا:

يعد الحديث عن الدنيا في مقدمة الأمور التي

يوليها العلماء اهتمامهم، ولكلٍّ طريقته ونظرته في تناول هذا الموضوع، وأكثرهم يجعلها الغرض الأول الذي يسدد له سهامه.

ويتجه حديث أبي حازم عنها في مسارين:

الأول: في بيان حقيقتها حتى لا يغتر الناس بها.

فكل شيء فيها مما يسر، الزق به شيء مما يسوء.

ومن عرفها لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن على بلوى.. فهي عرض زائل.

واليسير منها يشغل عن الكثير من الآخرة.

وما مضى منها فهو حلم، وما بقي فهو أماني.

ونعمة الله فيما زوى منها أكبر من نعمته فيما أعطى.

إنها حقائق سلط أبو حازم الضوء عليها.

الثاني: إن الدنيا ومتاعها أمر لا بدّ منه، ولذا فهو لا يذم الدنيا لذاتها، وإنما يوضح الأمر، ويجلي الحقيقة، فيقول:

إن الله جعل حب الدنيا في فطرة الإنسان، وما أعاتب نفسي على حب شيء حببه الله تعالى إلي.

وإذا كان الأمر كذلك، فما المطلوب؟ يقول:

ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا ـ أي في غير حب الدنيا ـ أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئاً مما يكرهه الله تعالى، أو أن نمنع شيئاً أحبه الله تعالى.

وهكذا يصرف النظر عن كره الدنيا لذاتها، ويجعل الأمر مرتبطاً بحب ما أحبه الله وكره ما كرهه الله، والدنيا إنما هي ساحة العمل.

٢ ـ الأمر بالمعروف:

وهو محور ثابت في غايات الوعاظ وأهدافهم، بل هو أمر من أركان هذا الدين، جاءت به الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة.

ويرى أبو حازم أن النفوس أعرضت عن قبول النصح، ولم تعد قابلة لتلقي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومع ذلك فهو مصرٌّ على القيام بهذا الأمر، وأول ما يوجهه إلى نفسه، فإذا كان الناس قد أعرضوا، فإن نفسه قابلة.. يقول:

إني لأعظ، وما أرى للموعظة موضعاً، وما أريد بذلك إلا نفسي.

٣ ـ الفقر:

يعد سلمة بن دينار من الزهاد، ولكن الفقر ليس مطلباً له، إذ ليس من مستلزمات الزاهد أن يكون فقيراً.

بل إنه يعد الفقر من جملة أعداء الإنسان، التي عليه أن يحاربها بسلاح التقوى ويرى أن الراحة في الغنى، حيث لا يحتاج الإنسان إلى الناس.

وإذا لم يتيسر له الغنى فالصبر يؤدي الغرض، وبهذا نفهم قوله حين يمر على الفاكهة في السوق فيشتهيها فيقول: موعدك الجنة[١].

فامتناعه عن الفاكهة إنما كان بسبب عدم وجود ثمنها، ولو وجد ثمنها لاشتراها.

وهذا هو المسلك الصحيح في الزهد. إذ لم يمتنع الرسول ﷺ عن أكل الفاكهة إذا وجدت.

٤ ـ موقفه من العلماء:

ربما كان العلماء أحوج من غيرهم إلى النصح

---

(١) حلية الأولياء ٣/٢٤٦.

والتوجيه، فانحراف العالم لا يشبهه انحراف أي فرد من بقية الناس، فعمل العالم امتداد لعمل النبوة، والعالم دائماً في مكان القدوة، ينظر الناس إلى أفعاله، ويستمعون أقواله..

فالعالم ينبغي أن تتوفر فيه الصفات العالية الكريمة حتى يستطيع آداء مهمته، وفي مقدمتها: ألا تكون الدنيا من أهدافه التي يسعى إليها.

فالعالم هو الذي لا يأخذ على علمه دنيا.

والعالم لا يحمل علمه لأهل الدنيا.

وشر العلماء من أحب الأمراء.

وبما أن في العلماء دائماً وفي كل زمن فريقاً تستهويهم أبواب الأمراء، أو تستهويهم المكانة التي يضفيها عليهم الأمراء أو رجال السلطة.. فهذا النوع من الناس بحاجة إلى النصح والتوجيه، وهم أحق به من غيرهم.

وقد أخذت هذه القضية مساحة لا بأس بها من اهتمام أبي حازم، وكانت رسالته إلى الإمام الزهري تمثل موقفه في هذه القضية.

وقد كان الزهري عالم المدينة بحق، ولكنه كان قريباً من رجال الدولة، يذهب إليهم ويقبل أعطياتهم..

وأستطيع الإشارة إلى الأفكار الرئيسة في هذه الرسالة بالآتي:

- بدأ الرسالة بالدعوة إلى الله أن يُعافيه مما هو فيه.

فما هو فيه مرض من أخطر الأمراض.

- بيان معرفته بنعم الله عليه وحججه، والسؤال: كيف سيكون موقفه يوم القيامة.

- بيان أن الله تعالى لا يغرر، فجدل العالم وخبرته بالكلام لا تسعفه في ذلك اليوم.

- بيان أن قربه من الحاكم فيه مؤانسة له.

- أنه سهل لهم طريق الغي بدنوه منهم. وجعل العامة يظنون بهم الخير، وأنهم على الطريق المستقيم، وفي هذا ما فيه من التغرير.

- أنه قبل أعطياتهم وهي أموال ليست لهم.

- سكوته على الباطل في أمر هذه الأموال التي تؤخذ من غير حلها وتوضع في غير مكانها.

- أن السلطة أدخلت الشك على العلماء الذين ابتعدوا عنها بمسلك الزهري.

- ثم يذكره الله والدار الآخرة ويطلب منه أن يحاسب نفسه، وأن يتوب إلى الله بتصحيح مساره.

- ويستغرب أن تبلغ الدنيا منه هذا المبلغ مع تقدم سنِّه.

وهكذا يذهب أبو حازم في بيان الأضرار المترتبة على قبول عطايا الحكام، والأنس بهم، والركون إلى مجالسهم.

وبهذا تعد رسالة أبي حازم إلى الزهري دستوراً في بابها. إذ هي تعالج ظاهرة مستمرة الظهور لها في كل زمان من يبرزها ويحمل لواءها.

مَوَاعِظُ
للإمام سلمة بن دينار
(أبي حَازم)

قال تعالى:

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾.

[سورة النحل: ١٢٥]

وقال تعالى:

﴿وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا﴾.

[سورة النساء: ٦٣]

العبادة الخالصة

قال أبو حازم:

إني لأستحيي من ربي عزّ وجلّ أن أسأله شيئاً، فأكون كالأجير السوء، إذا عمل طلب الأجرة، ولكني أعمل تعظيماً له[1].

أفضل خصال المؤمن

قال أبو حازم:

أفضل خصلة ترجى للمؤمن، أن يكون أشدَّ الناس خوفاً على نفسه، وأرجاه لكل مسلم.

العالِم

قال أبو حازم:

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٤٢، وهذا المسلك من أبي حازم. مأخوذ من الحديث الذي أخرجه الترمذي عن أبي سعيد الخدري، من قوله ﷺ: «يقول الرب عزّ وجلّ: من شغله القرآن وذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» [٢٩٢٦].

لا تكون عالماً حتى يكون فيك ثلاث خصال:

- لا تبغِ على من فوقك.
- ولا تحقِر من دونك.
- ولا تأخذ على علمك دنيا[1].

ما يشغل عن الآخرة

قال أبو حازم:

يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة، فإنك تجد الرجل يشغل نفسه بهمٍّ غيره، حتى لهو أشدُّ اهتماماً من صاحب الهمِّ بهمِّ نفسه.

عندما تصح الضمائر

قال أبو حازم:

عند تصحيح الضمائر، تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام أمَّه الفتوح[2].

حفظ اللسان

قال أبو حازم:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٩٨.

(٢) الفتوح: يقظة القلب، أمَّه الفتوح: أي فُتح عليه.

ينبغي للمؤمن أن يكون أشدَّ حفظاً للسانه منه لموضع قدميه[1].

الخوف من الموقف

قال أبو حازم:

لو نادى منادٍ من السماء بأمنِ أهل الأرض من دخول النار، لحقَّ عليهم الوجلُ من حضور ذلك الموقف، ومعاينة ذلك اليوم.

يا أهل خطيئة كذا

قال أبو حازم مخاطباً نفسه:

يا أعرج - يريد نفسه - ينادى يوم القيامة: يا أهل خطيئة كذا وكذا، فتقوم معهم، ثم ينادى: يا أهل خطيئة أخرى، فتقوم معهم، فأراك - يا أعرج - تريد أن تقوم مع أهل كل خطيئة[2].

---

(١) معناه: أن الإنسان كما يتثبت من الموضع الذي يريد أن يضع قدمه عليه، خوفاً من أن تزل قدمه فتنكسر رجله.. فحفظ اللسان أمر آكد، فقد تكون زلة اللسان سبباً في هلاك الإنسان في الدنيا، أو في الآخرة.

(٢) يريد بذلك أن أخطاءه كثيرة، فهو يحاسب نفسه ويعنفها.

أعداء الإنسان

قال أبو حازم ـ وقد قيل له: إنك متشدد ـ:

قال: وما لي لا أتشدد، وقد ترصدني أربعة عشر عدواً:

ـ أما أربعة: فشيطان يفتنني، ومؤمن يحسدني، وكافر يقتلني، ومنافق يبغضني.

ـ وأما العشرة: فمنها الجوع، والعطش، والحر، والبرد، والعري، والهرم، والمرض، والفقر، والموت، والنار. ولا أطيقهن إلا بسلاح تام، ولا أجد لهنَّ سلاحاً أفضل من التقوى.

النعمة والبلية

قال أبو حازم:

كل نعمة لا تقرِّب من الله عزّ وجلّ، فهي بليَّة[1].

حقيقة الدنيا

قال أبو حازم:

---

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/١٠٧.

ما مضى من الدنيا فحلم، وما بقي فأماني[1].

وقال:

من عرف الدنيا لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن على بلوى.

موعظة النفس

قال أبو حازم:

إني لأعظ وما أرى للموعظة موضعاً، وما أريد بذلك إلا نفسي[2].

النظر بميزان الآخرة

قال أبو حازم:

انظر الذي تحب أن يكون معك في الآخرة، فقدمه اليوم، وانظر الذي تكره أن يكون معك ثمَّ فاتركه اليوم.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٩ والمعنى:
ما مضى يصبح كالحلم، لأنه لم يعدْ لَه وجود إلاَّ في الذاكرة، وما بقي وهو الذي لم يأتي بعد، فهو أماني، قد تتحقق وقد لا تتحقق.

(٢) أي إنه يعظ أداء للواجب، إذ ليست النفوس القابلة للنصيحة موجودة، ولذا يبقى الوعظ لنفسه.

الاستعداد للموت

قال أبو حازم:

انظر كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت[1].

مصانعة وجه واحد

قال أبو حازم:

لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله تعالى، إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد.

ولا يعوِّر[2] فيما بينه وبين الله تعالى، إلا عوَّر الله فيما بينه وبين العباد.

ولمَصانعةُ وجه واحد، أيسر من مصانعة[3] الوجوه كلها. إنك إذا صانعت الله مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنأتك[4] الوجوه كلها[5].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٩٨.
(٢) عوَّره: صيره أعور، والمراد: أنه يفسد ويهدم.
(٣) المصانعة: المداراة.
(٤) شنأتك: أي أبغضتك.
(٥) سير أعلام النبلاء ٦/١٠٠.

غلاء الأسعار

عن أبي حازم: أنهم أتوه فقالوا له: يا أبا حازم، أما ترى!! قد غلا السعر.

فقال: وما يغمكم[1] من ذلك؟ إن الذي يرزقنا في الرخص، هو الذي يرزقنا في الغلاء[2].

ما يسرّ وما يسوء

قال أبو حازم:

ما في الدنيا شيء يسرُّك، إلا وقد ألزق به شيء يسوؤك.

مؤنة الدين والدنيا

قال أبو حازم:

اشتدت مؤنة الدين والدنيا.

قيل: وكيف؟

قال: أما الدين فلا تجد عليه أعواناً، وأما الدنيا،

---

(١) الغم: الكرب والحزن.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٩.

لقاء العلماء

إن العلماء كانوا فيما مضى من الزمان: إذا لقي العالم منهم من هو فوقه في العلم كان يوم غنيمة.

وإذا لقي من هو مثله ذاكره.

وإذا لقي من هو دونه لم يزهُ عليه.

حتى إذا كان هذا الزمان، فهلك الناس[٢].

خير الأمراء وشر العلماء

أرسل بعض الأمراء إلى أبي حازم، فأتاه وعنده الأفريقي والزهري وغيرهما.

فقال له: تكلم يا أبا حازم.

فقال أبو حازم:

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٧.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٤٣.

إن خير الأمراء من أحبَّ العلماء، وإن شرَّ العلماء من أحبَّ الأمراء.

وإنه كان فيما مضى، إذا بعث الأمراء إلى العلماء لم يأتوهم، وإذا أعطوهم لم يقبلوا منهم، وإذا سألوهم لم يرخِّصوا لهم.

وكان الأمراء يأتون العلماء في بيوتهم، فيسألونهم.

فكان في ذلك صلاح للأمراء، وصلاح للعلماء.

فلما رأى ذلك ناس من الناس، قالوا: ما لنا لا نطلب العلم حتى نكون مثل هؤلاء، فطلبوا العلم، فأتوا الأمراء، فحدثوهم فرخصوا لهم، وأعطوهم فقبلوا منهم، فجرؤت الأمراء على العلماء، وجرؤت العلماء على الأمراء[(١)].

حب الدنيا

عن عبد الرحمن بن أسلم قال: قلت لأبي حازم يوماً: إني لأجد شيئاً يحزنني.

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.

قال: وما هو يا ابن أخي؟

قلت: حبي الدنيا.

فقال لي: اعلم ـ يا ابن أخي ـ أن هذا الشيء ما أعاتب نفسي على حب شيء حببه الله تعالى إلي، لأن الله عزّ وجلّ قد حبب هذه الدنيا إلينا.

ولكن لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا: أن لا يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئاً من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئاً من شيء أحبه الله، فإذا نحن فعلنا ذلك، لا يضرنا حبنا إياها[1].

الحفاظ على الأخوة

قال أبو حازم:

إذا أحببت أخاً في الله، فأقلَّ مخالطته في دنياه.

احذر الله تعالى

قال أبو حازم:

إذا رأيت ربك يتابع نعمه عليك، وأنت تعصيه، فاحذره[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٩٩.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/١٠١.

رأس المال

عن سفيان قال: قيل لأبي حازم: ما مالك؟

قال: ثقتي بالله تعالى، وإياسي مما في أيدي الناس[1].

ليس للملوك صديق

قال أبو حازم:

ليس للملوك صديق، ولا للحسود راحة، والنظر في العواقب تلقيح العقول[2].

متى يحب العاصي الموت؟

قال أبو حازم:

تجد الرجل يعمل بالمعاصي، فإذا قيل له: تحب الموت؟ قال: لا! وكيف وعندي ما عندي؟

فيقال له: أفلا تترك ما تعمل من المعاصي؟

فيقول: ما أريد تركه، وما أحب أن أموت حتى أتركه[3].

---

(١) صفة الصفوة ٢/ ١٠٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٩.

لا تظن ذلك من قبلك

قال ابن المنكدر لأبي حازم: يا أبا حازم، ما أكثر من يلقاني فيدعو لي بالخير، ما أعرفهم، وما صنعت إليهم خيراً قط.

قال له أبو حازم: لا تظن أن ذلك من عملك؟ ولكن انظر الذي ذلك من قِبَلِه فاشكره. وقرأ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[١].

ما زوِيَ من الدنيا

قال أبو حازم:

نعمة الله فيما زوى عني من الدنيا، أعظم من نعمته علي فيما أعطاني منها، إني رأيته أعطاها قوماً فهلكوا.

سوء الخلق

قال أبو حازم:

السيّئُ الخلق أشقى الناس به نفسه التي بين

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٦.

جنبيه. هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده. حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته فينفرون عنه، فَرَقاً منه[1]، وحتى إن دابته تحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كلبه ليراه فينزوي على الجدار، حتى إن قطه ليفرّ منه[2].

أهل الخير أو أهل الشر

عن ابن عيينة قال: دخل أبو حازم على أمير المدينة، فقال له: تكلم.

فقال له: انظر الناس ببابك، إن أدنيت أهل الخير ذهب أهل الشر، وإن أدنيت أهل الشر ذهب أهل الخير[3].

سوق السلطان

قال أبو حازم:

إنما الإمام سوق من الأسواق: إن نفق عنده الباطل جاءه الباطل، وإن نفق عنده الحق جاءه الحق.

---

(١) أي خوفاً منه.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٠.

العلم بغير عمل

قال أبو حازم:

رضي الناس من العمل بالعلم، ومن الفعل بالقول.

الخبر اليقين

قال أبو حازم:

ابن آدم: بعد الموت يأتيك الخبر.

كتمان الحسنات

قال أبو حازم:

اكتم حسناتك، أشد مما تكتم سيئاتك[1].

الحفاظ على الدين

قال أبو حازم لجلسائه:

لقد رضيت منكم أن يبقي أحدكم على دينه، كما يبقي على نعليه[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ١٠٠.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٩، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٩٨.

لا يقتدى بهم

قال أبو حازم:

يا بني لا تقتدِ بمن لا يخاف الله بظهر الغيب، ولا يعفُ عن العيب، ولا يصلحْ عند الشيب.

العلم والهوى

قال أبو حازم:

إنه ليس من يوم تطلع فيه الشمس، إلا وهو يغدو على ابن آدم فيه علمه وهواه، ثم يتغالبان في صدره تغالب الدابتين، فيوم يغلب علمه هواه فيوم غنم غنمه، ويوم يغلب هواه علمه فيوم جرم جرمه.

وقال:

قاتل هواك أشدَّ ممن تقاتل عدوك.

= وهذا الذي قصده أبو حازم، ليس استحفافاً بالدين، وإنما هو بيان لمدى انخفاض الاهتمام بالدين في النفوس، حتى عبر أبو حازم عن رضاه إذا تساوى اهتمام الناس بدينهم مع اهتمامهم بثيابهم.

فالكلمة كلمة تأسف وحسرة.

شأنك صغير

قال أبو حازم:

نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت.

واعلم أنك إذا مت لم ترفع الأسواق بموتك، إن شأنك صغير، فاعرف نفسك.

ارفع إلي حاجتك

قال أبو حازم:

كتب أمير المؤمنين إلى أبي حازم: ارفع إلي حاجتك.

قال: هيهات، رفعت حاجتي إلى من لا يختزن الحوائج، فما أعطاني منها قنعت، وما أمسك عني منها رضيت.

يكفيك

قال أبو حازم:

إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى عيشك يكفيك، وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس في الدنيا شيء يغنيك.

خوف منع الدعاء

قال أبو حازم:

لأنا من أن أمنع الدعاء، أخوف مني من أن أمنع الإجابة[1].

خير الدنيا والآخرة

قال أبو حازم:

شيئان إذا عملت بهما أصبت بهما خير الدنيا والآخرة، ولا أطول عليك.

قيل: وما هما؟

قال: تحمل ما تكره إذا أحبه الله، وتكره ما تحب إذا كرهه الله عزّ وجلّ[2].

بضاعة الآخرة

قال أبو حازم:

إن بضاعة الآخرة كاسدة ما ستكثروا منها في

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ٢٧٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٨.

أوان كسادها، فإنه لو قد جاء يوم نفاقها لم تصل منها لا إلى قليل ولا إلى كثير[١].

السيئة الحسنة

قال أبو حازم:

إن الرجل ليعمل السيئة ما عمل حسنة قط أنفع له منها، ويعمل الحسنة ما عمل سيئة قط أضر عليه منها[٢].

وذلك أن العبد يعمل الحسنة تسره حين يعملها، فيتجبر فيها، ويرى أن له بها فضلاً على غيره، ولعل الله تعالى أن يحبطها ويحبط معها عملاً كثيراً.

وإن العبد حين يعمل السيئة تسوؤه حين يعملها،

---

(١) لعله أراد بالكساد وقت إمكان تحصيلها، كوقت الصحة والفراغ، حيث يكون للإنسان القدرة على تحصيلها، أما وقت نفاقها، فهو الوقت الذي لا يستطيع الإنسان معه تحصيل ذلك. كالمرض الذي يسبق الموت وتفقد معه القدرة على تحصيل الأعمال.

(٢) ورد هذا المعنى في حكم ابن عطاء الله الإسكندري حين قال: معصية أورثت ذلاً وانكساراً، خير من طاعة أورثت عزّاً واستكباراً.

ولعل الله تعالى يحدث بها وجلًا. فيلقى الله وإن خوفها لفي جوفه باقٍ.

أنواع الشكر

قال رجل لأبي حازم: ما شكر العينين؟

فقال: إن رأيت بهما خيراً أعلنته، وإن رأيت بهما شراً سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟

قال: إن سمعت بهما خيراً وعيته، وإن سمعت بهما شراً دفنته.

قال: فما شكر اليدين؟

قال: لا تأخذ بهما ما ليس لك، ولا تمنع حقاً لله هو فيهما.

قال: وما شكر البطن؟

قال: أن يكون أسفله طعاماً، وأعلاه علماً.

قال: وما شكر الفرج؟

قال: كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ

غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧﴾[1].

قال: فما شكر الرجلين؟

قال: إن رأيت ميتاً غبطته استعملت بهما عمله، وإن رأيت ميتاً مقته كففتهما عن عمله، وأنت شاكر لله عزّ وجلّ.

فأما من يشكر بلسانه ولم يشكر بجميع أعضائه، فمثله كمثل رجل له كساء فأخذ بطرفه ولم يلبسه. فلم ينفعه ذلك من الحر والبرد والثلج والمطر.

الراحة

سئل أبو حازم: ما القرابة؟ قال: المودة.

قيل له: فما اللذة؟ قال: الموافقة.

قيل: فما الراحة؟ قال: الجدة[2].

حب الفاجر

قال أبو حازم:

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ٥ ـ ٧.

(٢) الجدة: الغنى وكثرة المال.

أن يبغضك عدوك المسلم، خير لك من أن يحبك خليلك الفاجر.

معاصي الله

قال أبو حازم:

لا تعادينَّ رجلاً، ولا تُنَاصِبنَّه، حتى تنظر إلى سريرته بينه وبين الله، فإن يكن له سريرة حسنة، فإن الله لم يكن ليخذله بعداوتك، وإن كانت له سريرة رديئة، فقد كفاك مساوئه، ولو أردت أن تعمل به أكثر من معاصي الله لم تقدر[١].

تقوى الله وتقوى الناس

قال أبو حازم:

لَمَا يلقى الذي لا يتقي الله من تقية الناس، أشد مما يلقى الذي يتقي الله عزّ وجلّ من تقاته.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٨.
وكأنه يريد ترك عداوة الناس بالكلية، إذ لا يمكن للإنسان أن يطلع على سرائر الآخرين. فإذا كان من اتخذته عدواً حسن السريرة، فإن سريرته الحسنة تمنعه من الشر، وإن كان سيء السريرة فإن معاصيه كفيلة بكف أذاه.

القراء

قال أبو حازم:

كنت ترى حامل القرآن في خمسين رجلًا فتعرفه قد مصعه القرآن[1]، وأدركت القراء الذين هم القراء، فأما اليوم فليسوا بقراء، ولكنهم خراء.

النجاة من الدنيا

قال أبو حازم ـ وقد ذكر الدنيا ـ:

لئن نجونا من شر ما أصبنا منها، ما يضر ما زوي عنا منها، ولئن كنا قد تورطنا فيها، فما طلب ما بقي منها إلا حمق.

لا يحمل الدِّيْنُ لأهل الدنيا

خرج أبو حازم في الصائفة[2] وفي مجلس من المجالس في الطريق، بعث إليه الأمير: أن ائتنا حتى نسائلك وتحدثنا. فكتب إليه:

معاذ الله، أدركت أهل العلم لا يحملون الدين

---

(١) مصعه: أي أصابه الهزال من خشيته وخوفه.

(٢) وهي السرية التي تخرج في الصيف لقتال العدو.

إلى أهل الدنيا، فلن أكون بأول من فعل ذلك. فإن كان لك حاجة فابلغنا.

فجاء إليه وسأله واستمع منه ثم قال: لقد ازددت علينا بهذا كرامة.

الشك واليقين

قال أبو حازم ـ وهو يعظ سليمان بن عبد الملك ـ:

ما رأيت يقيناً لا شك فيه، أشبه بشك لا يقين فيه، من شيء نحن فيه.

موعظة

قال عمر بن عبد العزيز لأبي حازم: عظني يا أبا حازم.

قال: اضطجع ثم اجعل الموت عند رأسك، ثم انظر ما تحب أن تكون فيه تلك الساعة، فخذ فيه الآن، وما تكره أن يكون فيك تلك الساعة، فدعه الآن[١].

---

(١) حلية الأولياء ٥/٣١٧.

النظر للنفس

قال أبو حازم:

يسير الدنيا يشغل عن كثير الآخرة.

انظر الذي يصلحك فاعمل به وإن كان فساداً للناس، وانظر الذي يفسدك فدعه، وإن كان صلاحاً للناس[1].

آثر نفسك

قال أبو حازم:

اعلموا أنه ليس شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلكم. فآثر نفسك أيها المرء بالنصيحة على ولدك. واعلم أنك إنما تخلِّف مالك في يد رجلين:

عامل فيه بمعصية الله فيشقى بما جمعت له.

وعامل فيه بطاعة الله، فيسعد بما شقيت له.

فارجُ لمن قدمت منهم رحمة الله، وبقِّ لمن خلفت منهم رزق الله[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/٩٨.

(٢) كتاب الزهد الكبير للبيهقي ص ١٨٣ رقم الأثر ٤٣٨.

خدمة الدنيا

قال أبو حازم:

أوحى الله عزّ وجلّ إلى الدنيا: من خدمك فأتعبيه، ومن خدمني فاخدميه[1].

متى نتوب؟

قال أبو حازم:

نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب، ونحن لا نتوب حتى نموت[2].

أمنية عند الموت

عن بشير الأزدي: أن عبد الملك[3] قال حين ثقل ـ ورأى غسالاً يلوي ثوبه بيده ـ: وددت أني كنت غسالاً، لا أعيش إلا مما أكتسب يوماً بيوم.

فذكر ذلك لأبي حازم فقال:

الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يتمنون ما نحن فيه، ولا نتمنى عند الموت ما هم فيه[4].

---

(١) المصدر قبله ص٦٥ رقم الأثر ١٤.

(٢) البيان والتبيين ٣/ ١٦٤.

(٣) عبد الملك بن مروان، الخليفة الأموي.

(٤) البيان والتبيين ٣/ ١٩١.

سوق الفاكهة

مرَّ أبو حازم بسوق الفاكهة فقال: موعدك الجنة[1].

أنا أؤخر نفسي

مرَّ أبو حازم بالجزارين: فقالوا له: يا أبا حازم، هذا لحم سمين فاشتر.

قال: ليس عندي ثمنه.

قالوا: نؤخرك.

قال: أنا أؤخر نفسي[2].

رأس مال

قيل لأبي حازم: ما مالك؟

قال: مالان: الغنى بِمَا في يدي عن الناس، واليأس مما في أيدي الناس[3].

---

(١) العقد الفريد ٣/١٢٦.

(٢) العقد الفريد ٣/١٢٦.

(٣) العقد الفريد ٣/١٦٤.

المودة المدخولة

قال أبو حازم:

إن كل مودة يزيد فيها اللقاء لمدخولة[1].

زمان القول

قال أبو حازم:

إذا كنت في زمان يرضى فيه بالقول عن العمل، فأنت في شر ناس، وشر زمان[2].

العلماء والأمراء

قال أبو حازم:

أدركت العلماء ـ والأمراء والسلاطين ـ يأتونهم فيقفون على أبوابهم كالعبيد، حتى إذا كان اليوم: رأينا الفقهاء والعلماء والعباد هم الذين يأتون الأمراء والأغنياء.

فلما رأوا ذلك منهم ازدروهم واحتقروهم وقالوا:

---

(١) الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ٣١.
(٢) المصدر قبله ١/ ٣١.

العافية في العطاء

قال أبو حازم:

إن عوفينا من شر ما أعطينا، لم يضرنا ما زوي عنا[2].

غرور الدنيا

قال أبو حازم:

الدنيا غرت أقواماً فعملوا فيها بغير الحق، فلما جاءهم الموت خلفوا مالهم لمن لا يحمدهم، وصاروا إلى من لا يعذرهم.

وقد خلفنا بعدهم، فينبغي لنا أن ننظر إلى الذي كرهناه منهم فنجتنبه، وإلى الذي غبطناهم عليه فنستعمله[3].

---

(١) المصدر قبله ١/ ٣١.

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١٢٦.

(٣) البيان والتبيين للجاحظ ٣/ ١٢٧.

اجتناب الحلال

قال أبو حازم:

إن قوماً تجنبوا الكثير من الحلال لكثرة شغله[1]، فما ظنكم بهؤلاء الذين تركوا الحلال ليركبوا الحرام[2].

العالم والجاهل

قال أبو حازم:

مثل العالم والجاهل، مثل البنَّاء والرقاص[3].

تجد البناء على الشاهق والقصر، معه حديدته جالساً، والرقاص يحمل اللبن والطين على عاتقه، على خشبة تحته مهواة، لو زلَّ ذهبت نفسه، ثم يتكلف الصعود بها على هول ما تحته، حتى يأتي بها إلى

---

(١) أي لكثرة ما يأخذ من أوقاتهم فيشغلهم عن العمل للآخرة.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٤١.

(٣) الرقاص: هو العامل الذي يعمل مساعداً للذي يقوم بالبناء. والمراد: أن جهد العامل أضعاف جهد البناء، ومع ذلك فأجر البناء أكبر. ومقصده الحث على طلب العلم.

البناء، فلا يزيد البناء على أن يعدلها بحديدته وبرأيه وبتقديره.

فإذا سلما، أخذ البناء تسعة أعشار الأجرة، وأخذ الرقاص عشراً، وإن هلك ذهبت نفسه.

فكذا العالم يأخذ أضعاف الأجر بعلمه[1].

الدموع

قال أبو معشر: رأيت أبا حازم، يقص في المسجد ويبكي، ويمسح بدموعه وجهه. فقلت: يا أبا حازم لم تفعل هذا؟

قال: بلغني أن النار لا تصيب موضعاً أصابته الدموع من خشية الله[2].

مرحلة ومرحلة

قال أبو حازم:

عجباً لقوم يعملون لدار يرحلون عنها كل يوم مرحلة، ويَدَعون أن يعملوا لدارٍ يرحلون إليها كل يوم مرحلة[3].

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٤٥.

(٢) صفة الصفوة ٢/ ١٠٨.

(٣) صفة الصفوة ٢/ ١١٢.

إبليس

قال أبو حازم:

وما إبليس؟ لقد عُصيَ فما ضرَّ، ولقد أُطيعَ فما نفع[1].

همُّ الأولاد

مر أبو حازم بأبي جعفر المديني وهو مكتئب حزين. فقال:

مالي أراك مكتئباً حزيناً؟

قال: ذكرتُ ولدي من بعدي.

قال: فلا تفعل، فإن كانوا أولياء لله فلا تخف عليهم الضيعة، وإن كانوا لله أعداء، فلا تبالِ ما لقوا بعدك[2].

---

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٩٩.
والمعنى: أن الذي يعصي إبليس لن يصيبه من الضر شيء، وأن الذي أطاع إبليس، لم يجلب له إبليس شيئاً من النفع.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٢.

عيش الملوك

قال أبو حازم:

عيشنا عيش الملوك، وديننا دين الملائكة[1].

السر والعلانية

قال أبو حازم:

السرُّ أملك بالعلانية، من العلانية بالسر.

والفعل أملك بالقول، من القول بالفعل[2].

الدنيا شيئان

قال أبو حازم:

---

(١) حلية الأولياء ٣/ ٢٣٣.

المراد بعيش الملوك: أنهم لا يصيبهم الهم بشأن تأمين طعامهم وحاجاتهم. وكذا المتوكلون على الله، لا يشغلون بالهم بهذا الأمر الذي تكفل الله تعالى به، فهم والملوك سواء من هذه الناحية، وأما دين الملائكة، فهم الذين عبدوا الله عن قرب، ويشير أبو حازم بقوله إلى الحديث الشريف (اعبد الله كأنك تراه) فمن وصل إلى هذا المستوى فهو كالملائكة.

(٢) حلية الأولياء ٣/ ٢٤١. والمعنى: أن علاقة السر بالعلانية أقوى من علاقة العلانية بالسر، وارتباط الفعل بالقول، أكثر من ارتباط القول بالفعل.

وجدت الدنيا شيئين:

شيئاً هو لي، لن أعجِّله دون أجله، ولو طلبته بقوة السماوات والأرض.

وشيئاً هو لغيري، لم أنله فيما مضى، ولا أناله فيما بقي.

يُمنَع الذي لي من غيري، كما منع الذي لغيري مني، ففي أي هذين أفني عمري، وأهلك نفسي؟![1].

أنفقوا

قال أبو حازم:

أنفقوا ولا تخشوا الضيعة على أولادكم، فإنهم إن كانوا مؤمنين فإن الله يرزقهم بغير حساب، وإن كانوا فاسقين، فلا تساعدوهم على الفسق بأموالكم[2].

مواساة الإخوة

قال أبو حازم:

---

(١) البيان والتبيين ٣/ ١٣٩.

(٢) تنبيه المغترين للشعراني ص٦٣ والمراد بالإنفاق: الإنفاق في أعمال البر.

إذا كان لك أخ في الله، فلا تعامله في الدنيا، وأكثر من مواساته من غير طلب عوض منه على ذلك، لتدوم لك صحبته(١).

خوف الفقر

قال أبو حازم:

من خاف من الفقر، لم يرفع له عمل إلى السماء، لأنه ما خاف الفقر إلا لتهمة لربِّه عزَّ وجلَّ، والمتهم لله عدو الله(٢).

ما حقره الله

قال أبو حازم:

إياكم والدنيا، فإنه بلغني: أنه يوقف العبد يوم القيامة، إذا كان معظماً الدنيا، فيقال: هذا عظم ما حقره الله(٣).

---

(١) المصدر قبله ص١٤٣.

(٢) المصدر قبله ص١٩٨.

(٣) إحياء علوم الدين ٣/ ٢٠٧.

مقابلته لسليمان بن عبد الملك

خرج سليمان بن عبد الملك من دمشق سنة سبع وتسعين قاصداً أداء مناسك الحج، فلما وصل المدينة المنورة، استقبله القراء والعلماء ومنهم الزهري.

ولم يكن أبو حازم في عداد الزائرين للخليفة.

وبعد استقرار الخليفة، سأل: هل بالمدينة من رجل أدرك بعض الصحابة؟ قالوا: نعم، أبو حازم سلمة بن دينار.

وطلب سليمان دعوته بلطف ورفق.. فلما جاءه، رحب به وأدنى مجلسه ثم قال:

يا أبا حازم، ما هذا الجفاء؟

قال: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟

قال: وجوه الناس أتوني ولم تأتني.

قال: والله ما عرفتني قبل هذا، ولا أنا رأيتك، فأي جفاء رأيت مني؟

فالتفت سليمان إلى الزهري وقال: أصاب الشيخ وأخطأت أنا.

فقال: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟

فقال: عمرتم الدنيا، وخربتم الآخرة، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب.

قال: صدقت، فقال: يا أبا حازم ـ ليت شعري ـ ما لنا عند الله تعالى غداً؟

قال: اعرض عملك على كتاب الله عزّ وجلّ.

قال: وأين أجده من كتاب الله تعالى؟

قال: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾[1].

قال سليمان: فأين رحمة الله؟

قال أبو حازم: ﴿قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[2].

قال سليمان: ليت شعري، كيف العرض على الله غداً؟

قال أبو حازم: أما المحسن، كالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء، كالآبق يُقْدَمُ به على مولاه.

فبكى سليمان حتى اشتد بكاؤه.

---

(١) سورة الانفطار: الآية ١٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٥٦.

فقال: يا أبا حازم كيف لنا أن نصلح؟

قال: تَدَعون عنكم الصلف[1]، وتمسكون بالمروءة[2]، وتقسمون بالسوية، وتعدلون في القضية.

قال: يا أبا حازم، وكيف المأخذ من ذلك؟

قال: تأخذه بحقه، وتضعه بحقه في أهله.

قال: يا أبا حازم، من أفضل الخلائق؟

قال: أولو المروءة والنهى[3].

قال: فما أعدل العدل؟

قال: كلمة صدق عند من ترجوه وتخافه.

قال: فما أسرع الدعاء إجابة؟

قال: دعاء المحسن للمحسنين.

قال: فما أفضل الصدقة؟

قال: جهد المقل[4] إلى يد البائس الفقير، لا يتبعها منٌّ ولا أذى.

---

(١) الصلف: التكبر.

(٢) المروءة: النخوة والشرف.

(٣) النهي: العقل.

(٤) المقل: القليل المال.

قال: يا أبا حازم، من أكيس[1] الناس؟

قال: رجل ظفر بطاعة الله تعالى، فعمل بها، ثم دل الناس عليها.

قال: فمن أحمق الخلق[2]؟

قال: رجل اغتاظ في هوى أخيه وهو ظالم له، فباع آخرته بدنياه.

قال: يا أبا حازم، هل لك أن تصحبنا، وتصيب منا، ونصيب منك؟

قال: كلا.

قال: ولِمَ؟

قال: إني أخاف أن أركن إليكم شيئاً قليلاً، فيذيقني الله ضعف الحياة، وضعف الممات، ثم لا يكون لي منه نصير[3].

---

(١) أي أكثر الناس فطنة وعقلاً.

(٢) الأحمق: القليل العقل.

(٣) هذا إشارة إلى قوله تعالى: **﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾** سورة الإسراء: الآيتان ٧٤ ـ ٧٥.

قال: يا أبا حازم، ارفع إلي حاجتك.

قال: نعم، تدخلني الجنة، وتخرجني من النار.

قال: ليس ذاك إليَّ.

قال: فما لي حاجة سواها.

قال: يا أبا حازم، فادع الله لي.

قال: نعم، اللهم إن كان سليمان من أوليائك فيسره لخير الدنيا والآخرة، وإن كان من أعدائك فخذ بناصيته إلى ما تحب وترضى.

قال سليمان: قط؟!

قال أبو حازم: قد أكثرت وأطنبت: إن كنت أهله، وإن لم تكن أهله، فما حاجتك أن ترمي عن قوس ليس لها وتر؟

قال سليمان: يا أبا حازم ما تقول فيما نحن فيه؟

قال: أوَ تعفيني يا أمير المؤمنين.

قال: بل نصيحة تلقيها إليَّ.

قال: يا أمير المؤمنين، إن آباءك قهروا الناس بالسيف، وأخذوا هذا الملك عنوة على غير مشورة من المسلمين ولا رضا لهم، حتى قتلوا منهم مقتلة

عظيمة، فقد ارتحلوا عنها، فلو شعرت ما قالوه وما قيل لهم؟

فقال رجل من جلسائه: بئس ما قلت.

قال أبو حازم: كذبتَ، إن الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق: ليبيننه للناس ولا يكتمونه.

قال: يا أبا حازم، أوصني.

قال: نعم، سوف أوصيك وأوجز، نزه الله تعالى وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.

ثم قام. فلما ولى. قال:

يا أبا حازم، هذه مائة دينار، أنفقها ولك عندي أمثالها كثير.

فرمى بها وقال: والله ما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي، إني أعيذك بالله أن يكون سؤالك إياي هزلاً، وردّي عليك بذلاً.

إن موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام، لما ورد ماء مدين قال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[1] فسأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ،

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٤.

ولم يسأل الناس، ففطنت الجاريتان ولم تفطن الرعاة لما فطنتا إليه، فأتيا أباهما، وهو شعيب عليه السلام، فأخبرتاه الخبر.

قال شعيب: ينبغي أن يكون هذا جائعاً، ثم قال لإحداهما اذهبي فادعيه، فلما أتته أعظمته وغطت وجهها ثم قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَاۚ﴾ فشق على موسى حين ذكرت: أجر ما سقيت لنا، وأراد أن لا يتبعها، ولم يجد بداً من ذلك، لأنه كان في أرض مسبعة وخوف.

فخرج معها، حتى دخل على شعيب والعشاء مهيأ.

فقال: كُلْ.

فقال موسى: لا.

قال شعيب: ألست جائعاً؟

قال: بلى، ولكني من أهل بيت لا يبيعون شيئاً من عمل الآخرة بملء الأرض ذهباً، أخشى أن يكون هذا أجر ما سقيتُ لهما.

قال شعيب: لا، يا شاب، ولكن هذا عادتي وعادة آبائي: قرى الضيف وإطعام الطعام.

قال: فجلس موسى فأكل.

فإن كانت هذه المائة دينار عوضاً عما حدثتك، فالميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحل منه، وإن كان من مال المسلمين، فلي فيها شركاء ونظراء، فإن ساويت بيننا، وإلا فلا حاجة لي فيها.

إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كانت أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم، فلما نكسوا وسقطوا من عين الله تعالى، وآمنوا بالجبت والطاغوت، كان علماؤهم يأتون إلى أمرائهم ويشاركونهم في دنياهم، فأُشركوا معهم في فتنتهم.

قال ابن شهاب الزهري: يا أبا حازم إياي تعني؟ أو بيَ تعرِّض؟

قال: ما إياك اعتمدت ولكن هو ما تسمع.

قال سليمان: يا ابن شهاب، تعرفه؟

قال: نعم، جاري منذ ثلاثين سنة، ما كلمته كلمة قط.

قال أبو حازم: إنك نسيتَ الله فنسيتني، ولو أحببت الله لأحببتني.

قال ابن شهاب: يا أبا حازم، تشتمني؟

قال سليمان: ما شتمك، ولكن شتمتك نفسك، أما علمت أن للجار على الجار حقاً كحق القرابة[1].

رسالته إلى الإمام الزهري

عن الذيال بن عباد، قال: كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهري[2]:

عافانا الله وإياك - أبا بكر - من الفتن، ورحمك من النار.

فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك بها أن يرحمك منها، أصبحت شيخاً كبيراً، قد أثقلتك نِعَمُ الله عليك، بما أصحَّ من بدنك، وأطال من عمرك.

وعلمتَ حجج الله تعالى مما حَمَّلكَ من كتابه، وفقَّهك فيه من دينه، وفهَّمك من سنَّة نبيك ﷺ.

---

(١) أخرجه في الحلية ٣/ ٢٣٤ وكذا في سنن الدارمي باستثناء الفقرة الأخيرة المتعلقة ببني إسرائيل (٦٤٧).

(٢) محمد بن شهاب الزهري، من التابعين، كان من الحفاظ، وكان كريماً، وما أخذه عليه أبو حازم، هو صلته بالحكام والخلفاء وقبول عطاياهم وهداياهم، ولذا وجه إليه هذه الرسالة.

فرمى بك في كل نعمة أنعمها عليك، وكل حجة يحتج بها عليك، الغرضَ الأقصى، ابتلى في ذلك شكرك، وأبدى فيه فضله عليك، وقد قال: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

انظر أيَّ رجل تكون إذا وقفت بين يدي الله عزّ وجلّ، فسألك عن نعمه عليك: كيف رَعَيْتَها؟ وعن حججه عليك كيف قضيتها؟

ولا تحسبنَّ الله راضياً منك بالتغرير، ولا قابلاً منك التقصير، هيهات ليس كذلك. أخذَ على العلماء في كتابه إذ قال تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾[2] الآية.

إنك تقول إنك جَدِل[3] ماهر، عالم، قد جادلتَ الناس فجدلتَهم، وخاصمتهم فخصمتهم، إدلالاً منك بفهمك، واقتداراً منك برأيك، فأين تذهب عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾[4] الآية.

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٣) جدل: أي ماهر في فن الجدل والمناقشة.

(٤) سورة النساء: الآية ١٠٩.

اعلم أن أدنى ما ارتكبت، وأعظم ما احتقبت[1]، أن آنستَ الظالم، وسهَّلت له طريق الغي بدنوك، حين أدنيت، وإجابتك حين دعيت، فما أخلقك أن تبوء بإثمك غداً مع الجرمة، وأن تسأل عما أردت بإغضائك عن ظلم الظلمة.

إنك أخذت ما ليس لمن أعطاك، ودنوت ممن لا يردُّ على أحدٍ حقاً، ولا ترك باطلاً حين أدناك، وأجبتَ من أراد التدليس بدعائه إياك حين دعاك، جعلوك قطباً تدور رحى باطلهم عليك، وجسراً يعبرون بك إلى بلائهم، وسلَّماً إلى ضلالتهم، وداعياً إلى غيِّهم، سالكاً سبيلهم.

يُدْخِلونَ بك الشكَّ على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال إليهم، فلم يبلغ أخصُّ وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلا دون ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم.

فما أيسر ما عمروا لك، في جنب ما خربوا عليك، وما أقلَّ ما أعطوك في كثير ما أخذوا منك.

---

(١) احتقب: ادخر في حقيبته.

فانظر لنفسك، فإنه لا ينظر لها غيرك، وحاسبها حساب رجل مسؤول، وانظر كيف شكرك لمن غذاك بنعمه صغيراً وكبيراً.

وانظر كيف إعظامك أمر من جعلك بدينه في الناس بخيلاً، وكيف صيانتك لكسوة من جعلك لكسوته ستراً، وكيف قربك وبعدك ممن أمرك أن تكون منه قريباً.

مالك لا تنتبه من نعستك[1]؟ وتستقيل من عثرتك، فتقول: والله ما قمتُ لله مقاماً واحداً أحيي له فيه ديناً، ولا أميت له فيه باطلاً.

إنما شكرك لمن استحملك كتابه، واستودعك علمه، ما يؤمنك أن تكون من الذين قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾ الآية[2].

إنك لست في دار مقام، قد أوذنت بالرحيل، ما بقاء المرء بعد أقرانه؟ طوبى لمن كان مع الدنيا على وجل، يا بؤس من يموت وتبقى ذنوبه من بعده، إنك لم تؤمر بالنظر لوارثك على نفسك.

---

(١) نعستك: أي نعاسك.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٦٩.

ذهبت اللذة، وبقيت التبعة، ما أشقى من سعد بكسبه غيرُه.

احذر فقد أتيت، وتخلص فقد أدهيت.

إنك تعامل من لا يجهل. والذي يحفظ عليك لا يغفل.

تجهز فقد دنا منك سفر، وداوِ دينك فقد دخله سقم شديد، ولا تحسبن أني أردت توبيخك أو تعييرك وتعنيفك، ولكني أردت أن تنعش ما فات من رأيك، وترد عليك ما عزب عنك من حلمك. وذكرت قوله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾[١].

أغفلتَ ذكر من مضى من أسنانك[٢]، وأقرانك، وبقيت بعدهم كقرن أعضب[٣]، فانظر هل ابتلوا بمثل ما ابتليت به؟ أو دخلوا في مثل ما دخلت فيه؟ وهل تراه ادخر لك خيراً منعوه، أو علمك شيئاً جهلوه؟

بل جهلت ما ابتليت به من حالك في صدور

---

(١) سورة الذاريات: الآية ٥٥.

(٢) أسنانك: أي من كانوا في مثل عمرك.

(٣) أعضب: أي مقطوع.

العامة، وكلفهم بك: أن صاروا يقتدون برأيك ويعملون بأمركِ، إن أحللت أحلوا، وإن حرمت حرموا، وليس ذلك عندك، ولكن إكبابهم عليك، ورغبتهم فيما في يديك، ذهابُ عملهم، وغلبة الجهل عليك وعليهم، وطلب حب الرياسة، وطلب الدنيا منك ومنهم.

أما ترى ما أنت فيه من الجهل والغرة، وما الناس فيه من البلاء والفتنة؟ ابتليتهم بالشغل عن مكاسبهم، وفتنتهم بما رأوا من أثر العلم عليك، وتاقت أنفسهم إلى أن يدركوا بالعلم ما أدركت، ويبلغوا منه مثل الذي بلغت فوقعوا بك في بحر لا يدرك قعره، وفي بلاء لا يقدر قدره، فالله لنا ولك ولهم المستعان.

واعلم أن الجاه جاهان:

جاه يجريه الله تعالى على يدي أوليائه لأوليائه، الخامل ذكرهم، الخافية شخوصهم، ولقد جاء نعتهم على لسان رسول الله ﷺ: «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا شهدوا لم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى، يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة»[1] فهؤلاء أولياء الله الذين قال الله

---

(١) أخرجه في حلية الأولياء ٣/٢٤٨.

تعالى فيهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وجاه يجريه الله تعالى على يدي أعدائه لأوليائه، ومقة[2] يقذفها الله في قلوبهم لهم، فيعظمهم الناس بتعظيم أولئك لهم، ويرغب الناس فيما في أيديهم لرغبة أولئك فيه إليهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3].

وما أخوفني أن تكون ممن ينظر لمن عاش مستوراً عليه في دينه، مقتوراً عليه في رزقه، معزولة عنه البلايا، مصروفة عنه الفتن في عنفوان شبابه، وظهور جَلَده، وكمال شهوته، فعني بذلك دهره، حتى إذا كبر سنه، ورقّ عظمه، وضعفت قوته، وانقطعت شهوته ولذته، فتحت عليه الدنيا شر فتوح، فلزمته تبعتها، وعلقته فتنتها، وأغْشَتْ عينيه زهرتها، وصَفَتْ لغيره منفعتها.

فسبحان الله ما أبين هذا الغبن، وأخسر هذا الأمر.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢٢.

(٢) المقة: الحب والتودد.

(٣) سورة المجادلة: الآية ١٩.

فهلا إذ عرضت لك فتنتها، ذكرت أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في كتابه إلى سعد ـ حين خاف عليه مثل الذي وقعت فيه عندما فتح الله على سعد ـ:

أما بعد: فأعرضْ عن زهرة ما أنت فيه، حتى تلقى الماضين الذين دفنوا في أسمالهم، لاصقة بطونهم بظهورهم، ليس بينهم وبين الله حجاب، لم تفتنهم الدنيا ولم يفتتنوا بها، رغبوا فطلبوا، فما لبثوا أن لحقوا.

فإذا كانت الدنيا تبلغ من مثلك هذا في كبر سنك ورسوخ علمك، وحضور أجلك، فمن يلوم الحدَثَ في سنِّه، والجاهل في علمه، المأفون[1] في رأيه، المدخول في عقله؟

إنا لله وإنا إليه راجعون، على من المعول؟ وعند من المستعتب؟ نحتسب عند الله مصيبتنا، ونشكو إليه بثنا[2]. وما نرى منك، ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاك به، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته[3].

---

(١) المأفون: الضعيف الرأي والعقل.
(٢) البث: الحزن.
(٣) حلية الأولياء ٣/٢٤٦ ـ ٢٤٩.

المُحْتَوى

مِنَ المَـرَاجع

١ ـ البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.
٢ ـ الزهد الكبير، للحافظ البيهقي.
٣ ـ الطبقات الكبرى، للشعراني.
٤ ـ العقد الفريد، لابن عبد ربه، دار إحياء التراث.
٥ ـ تنبيه المغترين، للشعراني.
٦ ـ حلية الأولياء، للحافظ أبي نعيم الأصبهاني.
٧ ـ سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط١.
٨ ـ صفة الصفوة، للإمام ابن الجوزي.

كتب للمؤلف

١ - الجامع بين الصحيحين (٤ مجلدات).
٢ - زوائد السنن على الصحيحين (٧ مجلدات).
٣ - من معين السيرة.
٤ - من معين الشمائل.
٥ - السيرة النبوية (تربية أمة وبناء دولة).
٦ - أضواء على دراسة السيرة.
٧ - هكذا فهم السلف.
٨ - أهل الصفة (بعيداً عن الوهم والخيال).
٩ - الإمام الغزالي (سلسلة أعلام المسلمين).
١٠ - الفرائض فقهاً وحساباً (في جزأين).
١١ - الفن الإسلامي (التزام وإبداع).
١٢ - دراسة جمالية في ثلاثة أجزاء:
أ - الظاهرة الجمالية في الإسلام.
ب - ميادين الجمال.
ج - التربية الجمالية في الإسلام.
١٣ - تحقيق الجمع بين الصحيحين للموصلي (في مجلدين).
١٤ - تحقيق المواهب اللدنية للقسطلاني (٤ مجلدات).
١٥ - تحقيق رسالة شرح المعرفة للمحاسبي.
١٦ - المهذب من إحياء علوم الدين (في مجلدين).
١٧ - تقريب «طريق الهجرتين» لابن القيم.

